المحاضرة الأولى

الادب الشعبي .المصطلح و المفهوم

1/ **مفهوم الادب الشعبي** : عندما يذكر الأدب الشعبي نستحضر معه مفاهيم عدّة لصيقة به كونه فنا قوليا تلقائيا ينتقل بشكل شفاهي من جيل إلى جيل ، لا ضرورة لمعرفة مؤلفه كونه نتاجا يعبر عن خبرات الانسان و أحاسيسه و مشاعره بلغة عامية يفهمها المجتمع بكل أطيافه . و هو ما جعلنا نقف عند هذا المصطلح لإيجاد تعريف يضبط حدوده.

ـ تعريف الأدب الشعبي : هو مصطلح مركب من كلمتين اثنتين هما (أدب) و (شعبي) تخصص الثانية معنى الاولى التي تتسم بالعموم و الشمول . و يعرّفه محمد سعيدي بقوله : (هو ذلك الكلام الفني الجمالي رفيع المستوى من شعر أو نثر، صادر عن أديب كاتب أو شاعر و خاضع لمنطق لغوي فني معين .)

و من خلال هذا التعريف ندرك أن محمد سعيدي يساوي بين الأدب الشعبي و غيره من الآداب من خلال الصفات الآتية : الرفعة – الجمالية – الخضوع للمنطق الفني و الجمالي ..

أما لفظة (الشعبي) فمنسوبة إلى الشعب الذي هو مجموعة بشرية منتمية إلى بلد واحد أو أرض واحدة و يحتكمون إلى قانون واحد و يشتركون في تاريخ ضارب في القدم . يقول مرسي الصباغ : (إن أول معاني الشعبية تكون في الانتشار و بما لأن الشعوب تمتد في تاريخها إلى جذور عميقة متناهية في القدم لذا فإن المعنى الثاني للشعبية يكون في الخلود ، و عليه فإن كلمة الشعبية عندما نطلقها على أي شيء لابد أن يتسم هذا الشيء بالانتشار و التوزع و التباعد المكاني و الزماني)

فشعبية الشيء لا تعني اتصافه بالابتذال و إنما تعني الانتشار و التداول بين كل أطياف الشعوب .

و قد فرّق محمد سعيدي بين الشعبي و الشعبوي و الشعوبي بقوله : (الشعبي ما اتصل اتصالا وثيقا بالشعب إما في شكله و إما في مضمونه و أي ممارسة اتصفت بالشعبية تعني أنها من إنتاج الشعب و أنها ملك له)

فالأدب الشعبي في الحقيقة هو من إنتاج فرد أو أفراد يشكلون شعبا أو أمة لأنه من غير الممكن أن تجتمع الامة كلها كي تؤلف حكاية أو تصوغ مثلا و إنما الإنتاج الفردي هو الأصل ثم يلقى قبولا بين أفراد الشعب مما يسهّل انتشاره و تداوله .

و قد حاول الدارسون تقديم تعريفا جامعا للأدب الشعبي إلا أن ذلك لم يتم مما جعل الدارسين ينقسمون إلى اتجاهات عدّة أبرزها ثلاثة هي :

الاتجاه الأول : اهتموا بمحتوى الادب الشعبي ، إذ يرى أصحاب هذا الرأي أن الأدب الشعبي هو كل ما عبر عن أحاسيس الشعب و عاداته و معتقداته و تاريخه دون النظر إلى لغة الابداع فيه . و هي الرؤية التي ذهب إليها محمد سعيدي في قوله : (الادب الشعبي رباط وثيق بكل أمة يولد معها و يترعرع بجوارها و يتربى في تربتها)

فهو لم يقيّد هذا الأدب بلغة و إنما ركزّعلى موضوع و محتوى المادة الشعبية و ما تمثله من قيمة أدبية و حضارية تحافظ على موروث الأمة .

الاتجاه الثاني : اهتموا بعنصر اللغة على حساب العناصر الأخرى و بذلك اهتموا بالشكل خلاف الذين اهتموا بالمضمون فهم يرون (الأدب الشعبي لأي مجتمع من المجتمعات الانسانية هو أدب عاميتها التقليدي الشفاهي مجهول المؤلف متوارث جيلا عبر جيل)

الاتجاه الثالث : يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأدب الشعبي هو ذلك الأدب الذي يرتبط ارتباطا عضويا بقضايا الشعب و ينبع من داخله ليعبر عن أحاسيسه و مشاعره .

و مما سبق نقول إن الأدب الشعبي وجه من وجوه التراث الشعبي الذي يمثل مظاهر الحياة الشعبية قديمها و حديثها و مستقبلها . و هو مصطلح يقابل مصطلح الفلكلور عند الغرب ، إذ أن هذا الأخير يستعمل للتعبير عن الملكات الخلاقة التي تصدر عن شخصية فردية و يتمثل في الحكايات و الأغاني و الأمثال و غيرها و يمكن تمثيل مفهوم الأدب الشعبي في النقاط الآتية :

_ الأدب الشعبي مرتبط شكلا و مضمونا بقضايا الشعب

_ هو أدب العامة سواء أكان مطبوعا أم مكتوبا أم مجهول أو معرف المؤلف

_ هو المعبر عن ذاتية الشعب المستهدف تقدمه الحضاري .

2/ خصائصه :

_ من حيث اللغة : يمكن تحديد مقوماته اللغوية من خلال عدم التقيّد بالضوابط التي تحكمها من خلال ترك الإعراب و استعمال أسماء و مصطلحات محلية .

_ من حيث الموضوع : يتناول كل موضوع و أي موضوع له اتصال مباشر بالشعب و يرتقي فوق عاملي الزمان و المكان ، فينتشر في جميع بقاع الأمة بالدرجة نفسها ، و يبقى على مر العصور بالمستوى نفسه و ينتقل من جيل إلى جيل .

_ من حيث الشكل : يعتبر قمة الوعي في هذه الناحية فهو لا يستعير أي شكل يجد فيه تحقيق لأهدافه و مراميه فمثلا القصة تبدأ من الأحدوثة أو الحدّوثة و تنتهي بالسيرة التي تعدّ صفحاتها بالآلاف

من حيث المضمون : يمكن القول إنه هو الذي أعطى للأدب الشعبي مكانته أو هو الذي يجعله شعبيا و يمكن أن نحدد للشعبية معلمين هما :

_ الانتشار أو التداول : بحيث يشمل أفراد الأمة بكاملها و بكل طبقاتها و طوائفها

_ التراثية أو الخلود بحيث يستطيع أن يطفو فوق سطح الزمن و يلتقي مع كل جيل بالانفعال و التأثير نفسه .